تعليم وتعلم الكبار المستمر مدى الحياة
دعوه للحوار حول مجال فريد

إعـــــداد

أ.د/ نادية جمال الدين

أستاذ أصول التربية – جامعة القاهرة

تعليم وتعلم الكبار المستمر مدى الحياة

دعوه للحوار حول مجال فريد

أ.د/ نادية جمال الدين*

وُلد الإنسان ليتعلم في سلسلة متصلة من العمليات والاجتهادات المقصودة وغير المقصودة لاكتساب كل ما يمكن أن يساعده على البقاء فى الحياة و الاستمرار فيها بصورة تمكنه من التعامل والتفاعل بكل ما يحيط به، والتكيف مع الجديد المفاجئ، **ومن** هنا تأتي أهمية دراسة هذا **المجال الفريد** كما أطلق عليه (Hudson)[1] منذ عام ١٨٥١ أي منذ ما يقرب من قرنين من الزمان ألا وهو تعليم الكبار. ***وتعليم الكبار مجال مفتوح اختياري في توجهه، متعدد النظم، متجدد الأهداف والمجالات والوظائف والمحتوى،*** ومن هنا تظهر الرؤية له على أنه "**مجال يتكون**"؛ حيث إن تطوره واستمرار الحاجة إليه والاهتمام به مرتبط بالتغيرات المجتمعية العالمية والمحلية معا، وللجميع رجالًا ونساءً فى الريف والحضر. مما يوضح لماذا كان من الصعب تحديد مجال تعليم الكبار وهذا ما حدث ويحدث بالفعل؛ فعلاقته متشابكة بالاقتصاد والاجتماع والمكتشفات العلمية بل المجتمع بكل مكوناته وما يموج به من تغيرات المعلوم منها وغير المتوقع أساسًا محليًا وعالميًا؛ حيث لم يعد الاهتمام قاصرًا على تعليم الكبار بل امتد ليشمل **تعلمهم** بعد ما شهدته الحضارة الإنسانية من تغيرات نتيجه للثورة الرقمية التى جاءت بالجديد المختلف والمبتكر الذى أسهم فى أن يكون الحصول على التعليم والاستمرار في التعلم واكتسابه **ذاتيا** متاحًا أمام الجميع وعند أطراف الأصابع فى أى مرحلة من العمر وعبر مسافات تتسع ومنصات متزايدة الانتشار غير محدودة المحتوى وفى أى وقت وبناء على احتياجات المتعلم أو لتلبية المتغيرات حوله. فالثورة الرقمية أو العلم والتكنولوجيا قد أتيا فى سرعة غير مسبوقة بأنواع متعددة من التجديد فى حقل التعليم وكذلك أيضا فى مجالات وحقول أخرى تتطلب أن يكون تعليم وتعلم الكبار المستمر مدى الحياة من الأمور الأساسية التى لا غنى عنها لأى إنسان فى أى بقعة من الكوكب الأرضي.

ونتيجة لاستخدام التكنولوجيا الرقمية قد جعلت **المتعلم** نفسه هو **مركز العملية التعليمية،** أي أنه هو ذاته الذي يمارس بنفسه ولنفسه عملية التعلم على عكس ما كان معروفا عن التعليم التقليدى والذى ساد لقرون طويلة بالنسبة للعملية التقليدية للتعليم. وبناء على هذا يمكن

* **أ.د/ نادية جمال الدين:** أستاذ أصول التربية – جامعة القاهرة.

القول إن ***التعلم يمكن تعريفه بأنه بناء أو تكوين الإدراك بالمعرفة بدلا من أن يكون تغير في الأداء*** (Fosnot)[2]، وطبقا لهذه الرؤية فإنه من الضرورى تغيير أطر برامج التعليم وطرق التدريس واستراتيجيات التعلم؛ فالتخلف عن تحقيق التعليم والتعلم المستمر وللجميع ما أمكن ينتج عنه أساسًا إهدار الثروة البشرية وأيضا التخلف عن ركب التقدم العالمى متزايد السرعة ومن هنا تأتى أهمية التوقف لمزيد من المناقشة ومحاولة التفسير وهذا كله يتطلب أولاً:

إطلاله تاريخية تمهيدية:

تحرص دوائر المعارف والكتابات المتخصصة حين تتناول الحديث عن تعليم الكبار، فإنها أولاً تتلمس جذوره التاريخية والقضايا المثارة حول تعريفه من حيث بنيته ورؤية مجاله وقضايا أخرى متعلقة بالعوامل مما سبق الإشارة إليه من متغيرات واسعة المدى تتطلب وقفة لتحديد المجال العام له وتحديد خصائصه وتطوراته حتى زماننا هذا. وهنا يأتى المدخل المُقدم من قبل أصحاب الحضارة الغربية ذات الجذور اليونانية بالعودة إلى حيث كونه كان مجالًا خاصا للقلة المتميزة أو الصفوة الحاكمة منذ قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام فى ضوء ما جاء فى جمهورية أفلاطون أى منذ القرن الرابع قبل الميلاد تقريبا.

ولعل المتأمل لهذا يمكنه القول وللوهلة الأولى بأن الكبير ومنذ بدأت الحياة على الأرض كان عليه أن يعتمد على نفسه ويتعلم من محيطه الحيوى ويكتسب ما يفيده ويحميه من غائلة ما حوله من حيوانات أو طقس متغير بل منذ العصر الحجري وحتى اكتشاف النار والتعامل معها كما أمكنه أن يتعلم عن طريق ملاحظة ما حوله حينًا وعن طريق المحاولة والخطأ حينًا آخر وهكذا...فالكبير هنا يتعلم وباستمرار من البيئه المحيطه به ما يجعل حياته تستمر فى رحلته على الأرض، وهو هنا يرعى صغاره ويصحبهم معه يعلمهم ويتعلم منهم **أى أن البداية على الأرض كان التعلم فيها للكبير** هو الأساس فى بقائه واستمرار وجوده ؛وبالتالى كان نقل خبراته المتعلمة هذه جزء من علاقته بمن حوله من الصغاروغيرهم.

بدهى هذا ولكن يمكن القول بأن استمرار الإنسان على الارض وتزايد أعداد البشر أدى الى تغيرات شتى وظهرت حضارات متعددة لعب فيها الإنسان أدوارا متميزة ارتبطت بالتعليم والتعلم مرصودة ومدونة بالتفصيل فى مظانها؛ حيث تعددت الحضارات القديمة وانتشرت في بقاع مختلفة كحضارة الصين والهند ومصر على سبيل المثال؛ حيث عرف الإنسان الاستقرار واشتغل بالزراعة ، إلا أن الوقفة هنا والتى تلفت الانتباه للإشارة إليها هى **الحضارة المصرية** التى نشأت على ضفاف نهر النيل وروضته حين فيضانه، وزرعت المحاصيل النافعة فى توقيتاتها وغير هذا مشهور إلا أن بناء المعابد والاهتمام **بالحياة بعد الموت**، ومن ثم اللجوء للنقش على الحجر لتسجيل كل ما يرغب فيه يوضح أن الكبار هنا اخترعوا **الرموز** التى يمكن

أن يتواصلوا بها وأيضا يحتفظوا عن طريقها بكل ما أرادوا الاحتفاظ به من أخبار المعارك والانتصارات ومعارف وقوانين ومعاملات مالية وهكذا. كما عرف المصرى القديم صناعة سهلت له الكتابة ألا وهى صناعة **ورق البردى** ليسجل عليها ما يريد. كان التعليم نعم للقلة من الكبار وفى المعابد وأيضا من المقربين من الحاكم الصغار. ولكن من يتأمل **تمثال الكاتب الجالس** فى صبر وثقة واحترام لنفسه أمام باب المتحف المصرى بميدان التحرير بالقاهرة وكأنه يرجب بالزائرين من كل بلدان العالم ويؤكد لمن يستقبلهم كيف أن المتعلم الكبير فى الحضارة المصرية القديمة احتل ويحتل موقعا متميزا، وأيضا يضمن له مكانة في دائرة الحكم والسلطه فهو الذى يسجل كل ما يختص بالدوله ويصدر عنها بكل التفاصيل الممكنه.. إنها لفتة ذكية أن يكون هناك من الأجيال المعاصرة في مصر من يحتفى بالعلم والمتعلمين حين إنشاء المتحف، ويضع الكاتب تحديدًا فى مدخل المتحف إيمانا بالعلم واعترافًا بأهمية المتعلمين ودورهم الأساسى فى حضارة لم تتكرر وما تزال تدهش العالم بأسرارها التى يتم اكتشافها من حين لآخر. فكثيرة هي الروايات المدونة على أوراق البردي التي توجه فيها الدعوة والنصح للمصري القديم وتوضح أهمية التعليم وتميز المتعلم على سبيل المثال "بألا يكون خبازاً أو حدادًا كي لا يحترق بالنيران بل أن يكون كاتبًا" فأن يتعلم هنا الكتابة تضمن له الراحة والابتعاد عن المشاق والموقع الاجتماعي المتميز.

وهكذا يمكن القول بأن التعلم وليس التعليم للصغار أو الكبار وحدهم، فالاستمرارفى التعليم والتعلم كان من ملامح الثقافة المصرية وجذورها الممتدة فى أعماق التربة المصرية التى ما تزال تفصح عن الكنوز فى باطنها، وكانت الكتابة والتسجيل للاحداث التى تؤكد ان مصر جاءت أولا ثم جاء التاريخ كما قال أديب نوبل المصرى نجيب محفوظ.

وانتقالا للشائع فى الكتابات الغربية من الاهتمام بالفلسفة اليونانية والنظر إلى التعليم باعتباره للقلة المتميزة من الكبار من قديم الزمان وهنا تأتي العوده لأفلاطون وجمهوريته[٣] ؛حيث تتم رؤية ما قدمه على أنه من أول من أشار إلى الكبار وتعليمهم. والمتأمل لما جاء فى الجمهورية بهذا الشأن على سبيل المثال(القرن الرابع قبل الميلاد)،سوف يلاحظ أنه قسم مراحل التعليم إلى ثلاثة مراحل تتناول امتداد عمر الإنسان إلا أن المرحله الأخيرة للكبار كانت خاصة بالطبقة الثالثة أي الصفوة الحاكمه أو التى ستتولى الحكم والتي يؤهلها لها التعليم؛ فالنظرة الطبقية فى قسمة أفلاطون كانت واضحة فالكبار الذين يتعلمون فى الطبقة الثالثة فى جمهوريته ومرة أخرى هم الصفوة الحاكمة وكان للتعليم دوره الذى أهلهم لهذا ولعل هذا بدوره يقودنا إلى القول بأن القلة من **المواطنين الأحرار** هي التى كانت فى حاجة لأن تمتلك **مهارات متجدده** لتؤهلهم للمناصب المختلفة بالدولة.

اختلف التوجه فى مصر بعد دخول الديانة المسيحية إليها ووجد من الكبار المؤمنين الجدد من توجه للتعليم وتفرغ له بعيدا عن سطوة الحكام من الرومان وما أحدثوه من اضطهاد لمن اعتنق الديانة المسيحية حتى انتهى عصر الشهداء فى مصر باعتناق الحاكم الرومانى الديانة المسيحية.

ويتواصل على أرض مصر التفرغ للعلم والتعلم والعبادة ولايكون هذا إلا من الكبار. وهاهى الأديرة المتناثرة وخاصة بعيدًا فى الصحراء وصعيد مصر تحمي لنا وتحفظ ملامح ما توصل إليه الرهبان الذين فروا بدينهم من الكبار ليحافظوا للبشرية كلها ما استقر في قلوبهم وآمنوا واحتفظوا به مكتوبًا وليس منقوشا على الجدران فقط وإنما مكتوبًا على الجلود وأوراق البردي والفخار وغيرها.

إنه الإنسان الكبير **المتعلم والمتعبد** والمجتهد فى خدمة دينه الذى آمن به ويعمل لآخرته أيضا فالتعلم المتاح والحالة هذه والكتابة للنصوص الدينية والأحداث التى تقع والأحوال التى يمر بها حكام وأفراد الوطن الذى يعيش فيه. ومن ثم فالمتعلمين الكبار هنا نجد منهم من أهتم بالتعامل مع الدنيا ومنهم من ارتبط بعلاقة مع الدار الباقيه. وإذا كان الكبير يتعلم فمن البدهى أن الاهتمام بتعليم الصغار أيضا كان قائما. وبانتشار المسيحية في مصر واستقرار الأوضاع يأتي الفتح الإسلامي لمصر وتنشأ المساجد التى كان أولها مسجد عمرو بن العاص ويجتمع الكبار ويتحلقون لطلب العلم المرتبط بالدين في حلقات حول من يعلمهم القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكذلك أيضًا اللغة العربية.

وبالقطع كانت البداية أيضا بالكبار؛ حيث كان النهى عن دخول الصغار للمساجد لأنهم لا يتورعون عن ارتكاب النجاسات وإحداث الضوضاء. وعلى أية حال كان للصغير مكان آخر. ومن المفيد هنا العودة للجذور الثقافية و تأمل الملامح الأساسية التى استمرت فى مصر منذ القرن السادس بعد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وحتى الآن بالإضافة إلى ما سبقها من ملامح الاهتمام بالكبار وتعليمهم وتعلمهم باستمرار. **فطلب العلم فريضة** فى الإسلام كما روى أنس ابن مالك ومسلم وأبو سعيد الخدري عن الرسول صلى الله عليه وسلم " **طلب العلم فريضة**"، وكونه فريضة أولا يعنى أنه واجب يبدأ بالكبار وضرورة أن يستمروا فى طلب العلم. ومن زاوية أخرى فإن معنى الطلب هنا يقودنا إلى ماهو مشهور الآن عن أهمية **التعلم** وضرورته من **المهد إلى اللحد** أي أن يهتم الإنسان بنفسه ولنفسه عما يحتاج إليه ويرغب فى تعلمه فى الزمان أو الوقت والمكان الذى يحدده بنفسه ولنفسه حين يحتاج أو يرغب فى تعلم أمور تهمه ويمكن أن تسهم فى أن يجعل من حياته أفضل إما فى مجال العمل أوتجديده أو تغييره من أجل حياة أفضل له ولمن حوله. أو أنه يرغب فى مزيد من التعلم فى مجال من

المجالات الجديدة والمتجددة باستمرار حتى يمكنه مواصلة حياته بصورة أكثر سهوله يؤدى به إلى إحراز مكاسب تحسن من وضعه الاجتماعى أو التعليمى والثقافى أو المهنى وهكذا..... ومن هنا ولهذا أيضا على الإنسان الكبير أن يسعى لطلب العلم وسعى هذا الكبير يعنى التأكيد على اختياره وبنفسه لما يريد أن يتعلمه لمصلحته ومزيد من الخير له ولمن حوله.وتعلم الكبير من المهد إلى اللحد والمطلوب والحالة هذه أن يقدم له المجتمع وبصورة متجددة دائمة الوسائط والبرامج وكافة الإمكانيات التى تتيح له أن يتعلم على امتداد العمر وأن يستفيد ويستمتع بما تعلمه.

وبتأمل كيف أن تعبير **طلب العلم نقطة انطلاق** نحدد فيها للكبير أن التعلم المستمر ضروره ومن أجل حياة افضل وأنه عليه أن يسعى ويطلب العلم ويحرص عليه أينما وجده..

ومن المفيد أن نعيد قراءة ماهو معروف ومشهور في تاريخ المسلمين كيف كان تعليم من لا يعرف القراءة والكتابة من الكبار فى صدر الاسلام وسيلة لتحرير أسرى غزوة بدر....فمن المشهور أن الأسير فى هذه الغزوة كان يمكنه أن يفتدى نفسه ويتحرر من الأسر إذا قام بتعليم عشرة من المسلمين الذين لا يعرفون القراءة والكتابه **فالأسير يتحرر بتحرير غيره من الجهل بالقراءة والكتابة فالحرية متحققة ومتبادلة للطرفين**. يتضح مما سبق أن التحرر نتيجة للقيام بتعليم غيره وتعلم الآخر؛ الأسير المعلم للقراءة غالبا والكتابه يتحرر من الأسر فالحرية هنا فعل أو نتيجة واقعيه والمتعلم للقراءة يتحرر معنويا بتمكنه من هذه المهارات التى تسمح له بالانطلاق إلى آفاق جديدة يمكن ان تحقق له أيضا أن يعلم غيره . ولا يتوقف الأمر عند هذا بل أن تعليم من لا يعلم قربى الى الله فهو هنا اقرب إلى الواجب تجاه الآخر الذى يحتاج إليه ذلك، ومما رواه أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن "من كتم علما الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار"، وعالم السوء هنا مثله مثل الحجر على عين ماء فلا هو استفاد مما لديه من علم له يعلمه غيره، ولا هو ترك العلم يصل إلى من يمكن أن يستفيد منه وهنا كان النص على عقابه واضح. وبناء على هذا فالنموذج الذى علينا أن نتبعه هو أن نتعلم ونعلم .... وذلك كما روى الترمذي عن الرسول صلى الله عليه وسلم "خيركم من تعلم العلم وعلمه"، ومن ثم فالرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالى الإنسان المسلم لم يؤمر من الاستزادة بشيء إلا العلم وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ (طه، الآية ١١٤) وهكذا تتوالى الاحاديث والمأثورات التى اهتمت بالعلم والعلماء والمتعلمين حتى أن المتأمل للقران الكريم ومحتواه بهذا الشأن سوف يصل إلى حقيقة مؤداها أن المصدر(ع ل م) يكون ١% من كلماته مثل علم علام عليم وغيرها[٤].

ولعل الدعوة التي حملها جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ كانت إيذانًا بإنطلاقة بدأتها الأمة الإسلامية إلى القراءة وتعلم ما لم تكن تعلم من أمور إرتبطت بالدعوة الجديدة أولاً وبإستقرار أحوال المسلمين ودخول ثقافات مختلفة في الاسلام وما أدت إليه حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية في القرن الثاني الميلادي حيث ترجم إسحاق ابن حنين الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية وظهر من المسلمين من بدأ في التعامل مع علومهم والتي كان منها أساسًا الطب ومنها الفلسفة واستمروا في الحوار والنقاش والابتكار للجديد حتى أن منهم من إنضم إلى جماعة تعرف **بإخوان الصفاء وخلان الوفاء** في القرن الرابع للهجرة كانت وجهتهم الأساسية التعليم للكبار الذين تجاوزوا سن الأربعين ذلك لأن الله سبحانه في نظرهم ما أرسل رسول إلى قومه إلا وهو شاب واعتبرت الأربعين هي بداية سن الشباب فمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم إنما أرسل وهو في الأربعين من عمره، فكان أعضاء الجماعة من الكبار يتعلمون في هذه الجماعة السرية وكانت سريتها ناتجة عن اهتمامهم بالفلسفة التي ترجمت من اليونانية. واختلف هؤلاء عن الفقهاء الذين كانوا يهتمون بتعليم الصغار في الكتاتيب وغيرها بل وبقية علماء المسلمين الذين يعلمون الكبار في المساجد الكبرى كافة العلوم في زمانهم.

وتستمر الحياة على الارض ويتوقف المؤرخون الاوربيون عند العصور الوسطى الاوربيه ثم ما أدت إليه دعوة **مارتن لوثر** وما نتج عنها من انتشار البروتاستنية فى وسط وشمال أوربا فى نهاية القرن السادس عشر وبدايات القرن السابع عشر؛ حيث كان لأنتشار هذه الدعوة مضونها التعليمى إذ اصبح فيها من حق الإنسان الكبير أن يقرأ الكتاب المقدس بعد أن كان قاصرا على رجال الدين ثم ما كان من اختراع **جوتنبرج** آلة الطباعة والتى نتج عنها اتاحة الفرص للقارئ الكبير العادى قراءة الكتاب المقدس أي إتاحة قراءته للعامه وخاصة الكبار.

وتعود جذور تعليم الكبار المعاصرة الى القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين في أوروبا حيث التحديث الناتج أو المواكب للثورة الصناعية الأولى منذ نهايات القرن الثامن عشر والتى كان لها آثار عالمية اجتماعية واقتصادية وسياسية واسعة المدى وتتوقف الكتابات الأوربية كثيرا أمام هذه الفتره أو المرحلة التاريخيه باعتبارها مؤثره بشكل أو بآخر فى إزدهار وتطور تعليم الكبار والاهتمام بمؤسساته وسياساته واصلاحه وأهمية تاملها ورؤية ما حدث لها وبشأنه فى ضوء التغيرات المجتمعية والأزمات التى تصاحبها.

واستمر الجامع الأزهر في مصر نموذجًا لإنتشار الحلقات التعليمية للكبار في زمانه وحتى بداية إنشاء محمد علي للتعليم المدني في مصر منذ بدايات القرن التاسع عشر الذي استمد منه طلاب الأزهر الشريف وحلقاته المختلفة ولتاريخ تعليم الكبار في مصر هنا تاريخ

آخر. هنا لابد وأن نعترف بأن عبر أقطار العالم ازدهرت واندثرت مؤسسات وأنشطة كانت تقدم التعليم للكبار حين إمتد التعليم للصغار بإنشاء المدارس التي عملت على تقديم التعليم لهم نيابة عن آبائهم وبديلاً لنظام الصبينة الذي كان قائمًا في مجالات الحياة العملية. معنى هذا أن نماذج تعليم الكبار في أقطار متعددة من العالم وساسياته انبثقت كإستجابة للتغيرات الفريدة والمفاجئة والكاسحة سواء أكان ثقافية أم إقتصادية أم سياسية أم غيرها. وهنا يرى البعض أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين قد شهد إهتمامات متنوعة بتعليم الكبار في أوروبا وأمريكا الشمالية ولم يتوقف الأمر عند الاهتمام بإنشاء المدارس للصغار لعل أهم ما يمكن الإشارة إليه هنا هو ما تزخر به المراجع الغربية خاصة من الاشارة إلى بداية الاهتمام بالبعد المهني لهذا المجال، إذ جاءت أول دراسة لتعليم الكبار من خلال مؤسسة كارنيجي عام ١٩٢٤ ونتج عنها إنشاء الرابطة الأمريكية لتعليم الكبار (AAAE) ١٩٢٦ وكان الهدف منها هو تطوير أو تحسين تعليم الكبار وإعتباره مجالًا لخدمتهم وتقديم التعليم لمن يرغب منهم على تعدد فئاتهم محليًا وإقليميًا. وكان من اجتهادات مؤسسة كارنيجي إصدار سلسلة من الكتب لمساعدة الكبار على القراءة ابتداء من عام ١٩٢٠ وصدر منها حتى عام ٢٠١٠ (كتب).

أما بالنسبة لأوروبا فقد كان لهم السبق حيث ظهرت مؤسسات للعمال تعمل من أجل الكبار وتعليمهم عام ١٩٠٣ والتي سميت في عام ١٩٠٥ رابطة التعليم للعمال (WEA) وخاصة النساء الذين حرموا من قبل من حق التعليم وانتشرت الفكرة في أنحاء أوروبا إلا أنها لم تتجه في نشاطها الملجوظ قبل ستينيات القرن العشرينكما سبقت الاشارة.

وانتشر في العالم كله الاهتمام بتعليم الكبار والنظر إليه من منظور عالمي كطريقة لمكافحة اللامساواة في التعليم ونشر الديمقراطية ودعم التنمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمجتمع. أي الاهتمام بحقوق الانسان، ذلك إنه ومع قيام الأمم المتحدة كمنظمة عالمية بعد الحرب العالمية الثانية وبزوغ نجم منظمة اليونسكو كمنظمة مختصة بالتعليم ومن هنا جاء أول مؤتمر لتعليم الكبار والذي إنعقد في مونتريال بكندا عام ١٩٤٩ وتتابعت المؤتمرات ١٩٦٠، ١٩٧٢، ١٩٨٥، ١٩٩٧، ٢٠٠٩، ٢٠٢٢، في دول مختلفة من العالم.

وكل ما سبق يعني أن الاهتمام بالكبار وتعلمهم استمر منذ بدء الخليقة ومايزال مناط الاهتمام به في كافة الأقطار الآن وأيضا عبر الثقافات المختلفة مما يؤكد أهمية تعليم الكبار وضرورته لاستمرار حياة الإنسان على الأرض وحاجته المستمرة لما يضيفه إليه لمواجهة كافة متطلبات ومتغيرات الحياة. وإذا كان الأمر كذلك فان قراءة الواقع العالمى يمكن أن توضح مدى ما يموج به العالم المعاصر من نماذج لتعليم الكبار مدى الحياة وكيف انبثقت سياساته

كاستجابة للتقافة السائد والتغيرات الاقتصادية فى إطار من الاتجاهات السياسية التى تدعم الاتجاه إلى التوسع فيه وإتاحة الفرص ما أمكن للتعليم والتعلم أمام الكبار.

وقد يتطلب كل هذا وقفة، لما استقر عليه وانتهت إليه النظرة إلى مفهوم تعليم الكبار وتعلمهم والذي يمكن تلخيصه من خلال ماجاء في المؤتمرات العالمية الأخيرة:

المتتبع لتاريخ تعليم الكبار وتعلمهم ومفاهيمه المختلفة وتحديدًا منذ ١٩٢٠ عبر أمريكا وأوروبا يلاحظ تغير المفهوم بتغير الزمان والثقافات والمؤسسات العاملة به والفئات التي يقدم إليها. وتلخيصًا لكثير من المناقشات العالمية التي دارت عبر ما يقرب من قرن من الزمان وكذلك لأشهر المنظمات المهتمة بالتأصيل لهذا المفهوم وهي منظمة اليونسكو فإن مفهوم تعليم الكبار وتعلمهم يدور في أطارين أساسيين هما:

الإطار الأول: النظر إليه كعملية والذي يحدد المفهوم في أنه" العملية التي يكون فيها الفرد ممارسًا أو مرتبطًا بأدوار إجتماعية غير متوقعه ككبير وتحمل مسؤوليات وأنشطة تعليمه المنتظمة والمستمرة من أجل أن يدرك التغيرات في معارفه وإتجاهاته وقميه ومهاراته".

أيضًا يشار إليه على أنه "الأنشطة المصممة المقصودة من أجل تحقيق أهداف التعلم بين المتشابهين في العمر والدور الاجتماعي والإدراك الذاتي مما يجعلهم ينطبق عليهم تعريف الكبار".

الإطار الثاني: يرتبط بالمنظمات التعليمية الخاصة لتعليم الكبار والتي لها طرقها ومناهجها والتي تميز بين الكبار وأي مجموعة أخرى في مجال التعليم وتحدد مصطلح تعليم الكبار بأنه" **كل الأنشطة التي تقدم خاصة للكبار**".

والملاحظ أيضًا عبر تتبع الأدبيات المرتبطة بالمفهوم تركز على ماذا يتعلم الكبار وطرق تدريسهم وكيف يتم تصميم الأنشطة لهم؟ وبالرجوع إلى ما انتهى إليه إعلان آنشيون ٢٠١٥ من تعريف تعليم الكباروتعلمهم في أنه: " تمثل عملية تعلم الكبار وتعليمهم عنصرًا أساسيًا في عملية التعلم مدى الحياة. فهي تشمل كل أشكال التعلم والتعليم الرامية إلى تمكين جميع الكبار من المشاركة في مجتمعاتهم وعالم العمل. وتعبر عن كافة عمليات التعلم، النظامي وغير النظامي وغير الرسمي؛ حيث يمكن للكبار أو الراشدين، بمعايير المجتمع الذي يعيشون فيه، أن يطوروا ويعززوا قدراتهم على العيش والعمل، خدمة لمصالحهم ومصالح جماعاتهم ومنظماتهم ومجتمعاتهم. وينطوي تعلم الكبار وتعليمهم على أنشطة وعمليات متواصلة في سياق اكتساب القدرات والإعتراف بها وتبادلها وتكييفها. ولما كانت المعايير التي تحدد سن الشباب والبلوغ تتباين في معظم الثقافات فإن كلمة " الكبار" تعني في هذا النص جميع الذين يشاركون في عملية تعلم الكبار وتعليمهم حتى إذا لم يبلغوا سن الرشد".

وقد حددت نفس التوصية ٢٠١٥ أهداف تعلم الكبار وتعليمهم في:

- تنمية قدرات الأفراد على التفكير النقدي والتصرف بطريقة مستقلة والشعور بالمسؤولية.
- تعزيز القدرة على التعامل مع التطورات التي يشهدها الاقتصاد وعالم العمل والمساهمة في تشكيلها.
- الإسهام في إنشاء مجتمع التعلم؛ حيث تتوافر لكل فرد فرصة التعلم والمشاركة التامة في عمليات التنمية المستدامة وتعزيز التضامن بين الناس والمجتمعات.
- تعزيز التعايش السلمي وحقوق الإنسان.
- تعزيز القدرة على التكيف لدى الشباب والكبار.
- تعزيز الوعي بشأن حماية البيئة.

وبالنظر لمجالات تعليم الكبار وتعلمهم التي تتنوع وتتزايد وفقًا لتنوع السياقات وتغير الاحتياجات والمتطلبات الفردية والمجتمعية يمكن تصنيفها إلى:

- تعليم الكبار الأساسي (يتضمن القرائية للكبار– الحساب).
- تعليم المهاجرون والمواطنون.
- تعليم عالي للكبار.
- تعليم في أماكن العمل (التعليم المهني والتدريب).
- التعليم المجتمعي.
- التعليم الشعبي.
- المتاحف والإذاعة والتلفزيون والمكتبات.

كانت الصفحات السابقة رحلة عبر التاريخ في محاولة لتعرف مجال فريد ألا وهو تعليم الكبار وتعلمهم المستمر مدى الحياة؛ حيث استعراض التطور التاريخي نظرًا لأن هذا المجال تأثر كثيرًا بالعوامل والمتغيرات المجتمعية بكل تفاصيلها؛ وبالتالي يتطلب الأمر التوقف أمام كل حقبة تاريخية منها لاستجلاء ملامح ماذا يعني تعليم الكبار ولماذا؟ وهذه صعوبة جمة نظرًا لأن هذا المجال وكما يتضح من نتائج المؤتمرات والممارسات العالمية والمحلية تتداخل فيه أمور كثيرة تجعله يموج بالنظريات والسياسات والممارسات وتنوع الدارسين الكبار وأهدافهم في مجال التعليم والتعلم، فهو مجال مفتوح متعدد الأبعاد متجدد تطوره مرتبط بالتغيرات المجتمعية العالمية والمحلية والأكثر صعوبة حين محاولة تعريفه هو تعدد توجهات واختيارات الممارسين له. ومن ثم فمن الصعب لهذا المجال واسع المدى أن يحدد تعريفه تحديدًا صارمًا غير أن الملفت للنظر هو أن تعليم الكبار قد أصبح عنصرًا أساسيًا لكثير من سكان العالم سواء أكان هذا في الدول الصناعية وآخذ في التزايد بالنسبة للدول المتطلعة للتقدم. ومن هنا كان الرجوع لتاريخه وما فرضه من تقبل له على المجتمعات كافة مع الإصرار في الاستمرار يتطلب المزيد من الحوار بشأنه.

المراجع

أولاً- مراجع باللغة العربية:

نادية جمال الدين، الدين والتعليم منذ فجر التاريخ وحتى نشأة الدولة الحديثة بمصر ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، **دار النهضة العربية، ٢٠١٩.**

نادية جمال الدين، فلسفة التربية عند إخوان الصفاء،منشورات للمركز العربي للصحافة، **الطبعة الأولى، ١٩٨٣.**

ثانيًا- مراجع باللغة الإنجليزية:

Rubenson, k., 2010 The field of Adult Education: An Overview, Published article in Adult learning and education, pp16, Elsevier.

Fosnot, C. T., & Perry, R. (2005). Constructivism: A psychological theory of learning. In C. T. Fosnot (Ed.), Constructivism: Theory, perspectives, and practice (pp. 8-38). New York, NY: Teachers College, Columbia University.

Plato’s, The Republic

Abdullah, S.,A., 1982, Educational theory, Qur’anic out look, umm Al-qura university, Makkah,p.24.